الأعمال والآمال

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

جلس فردريك جيمز سميث ماداً قدميه أمام الموقد جلسة تدل على العظمة والزهو . وكان له الحق فى ذلك فقد تقرر فى ذلك اليوم أن يزاد راتبه الأسبوعى من ثلاثة جنيهات إلى خمسة . وفى هذه الزيادة تقدير عظيم لخدمته مدة سبعة أعوام فى شركة بنسبيت

وكان يسمع وهو جالس هـذه الجلسة صوت زوجته وهى تغنى فى غرفة المطبخ أغنية هندية وتغسل أطباق السردين من آثار العشاء ، وكان فى الوقت نفسه يسمع صوت البيان فى المنزل المجاور

وأشعل فردريك جيمز لفافة وألقى نظرة على إحدى الصحف ولكنه كان لشدة سروره لا يستطيع أن يتناولها ليقرأها ، وكان يفكر فى مستقبله فينعش نفسه بالأمل فى صيرورته يوماً من الأيام مثل المستر بنسبيت الذى أصبح من أغنى الأغنياء بسبب الاتجار فى المفروشات

ودخلت زوجته وفى يدها عدد من الملاعق والشوكات والسكاكين فوضعتها فى مكانها ثم التفتت إلى المرقد الذى عليه ابنها النائم . وعادت فالتفتت إلى زوجها الذى كان يتأمل فى وجهها أو لعلها لم تحل فى عينيه إلا الآن

وقال : « سنذهب غداً إلى السينما يا عزيزتى » فقالت : « لا بأس ولكن على ألا نغيب أكثر من ساعتين »

وقال : « إن القطعة التى يعزفها الجيران على البيان هذه الليلة قطعة جميلة » فقالت : « نعم إن هذا الدور من أحسن الأدوار »

ومضت فترة فى صمت كان فيها الزوجان يصغيان إلى البيان ، قالت الزوجة : « هل كنت مشغولاً ؟ »

فقال : « نعم . لقد استغرق شغلنا طول النهار ويظهر أن أكثر الناس أغنياء . فهم يشترون أثاثا من كل نوع وبأى ثمن . إن الأغنياء سمداء الحظوظ

قالت : « لا تكرر هذه الجملة الظالمة . فإن حظك ليس بالسىء » . فقال : « إننى غير ساخط على الحظ ولم أقصد إلى الشكوى ؛ ولكن تجارة الأثاث تدهش الإنسان لكثرة ما يراه فيها من الغرائب . وإذا استثنينا الأطباء فإن تجار الأثاث يطلعون على الباطن من حياة أية طبقة أخرى ، وقد ألزمت نفسى خطة هى أنى لا أسأل أى سؤال ، ولا أفتح فمى بكلمة عما أراه .

ثم أشعل لفافة أخرى وتناول الجريدة ، وقرأ قليلاً لزوجته ثم كتب خطاب شكر . وخرج من المنزل فاشترى علبة سكائر وعاد . وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة . فأطفأ الزوجان النور وناما .

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى تناولا طعام الإفطار ، وقبل الزوج زوجته وهو يغادر المنزل وسألها عن رأيها فى الذهاب إلى السينما . فقالت إنها

سنقابله فى الساعة السادسة قرب دار السيما فى شارع كرابيون .

وفى الساعة التاسعة وأربع دقائق كان جالساً إلى مكتبه فجاء الخادم وأخبره بأن المستر بنسبيت يريد أن يراه فى اللحظة التى يأتى فيها .

قال فى نفسه : « لماذا يريدنى ؟ » . ثم خالجه الشك فى أن يكون قد حدث خطأ ، وأن زيادة المرتب ليست له . وألقى نظرة على الأوراق التى أمامه وذهب إلى « قدس الأقداس » وهذا التعبير صالح جداً للاعراب عن نظرة الموظفين إلى الرؤساء .

وقابل المستر سميث سكرتير الرئيس فاستأذن له عليه ...

وقف الرئيس وهو رجل طويل القامة متقدم فى السن ذو لحية كبيرة يبدو عليه التهذيب وقال الرئيس : « ماذا تعمل يا مستر سميث ؟ » فقال : « أنا فى قسم المبيعات يا سيدى »

قال الرئيس : « أرى أن تترك هذا القسم فاذهب وسلم ما بعهدتك وانتظرنى عند أسفل السلم بعد خمس دقائق »

وبعد أربع دقائق ونصف كان سميث ينتظر كالحارس فى أسفل السلم . وبعد نصف دقيقة نزل الرئيس فتجاهل وجود سميث فى طريقه وخرج من الباب فجلس فى العربة ثم التفت إلى سميث وأشار له بالجلوس

وجرت العربة إلى شارع اكسفورد . وفى الطريق قال الرئيس : « نحن ذاهبان إلى ريشموند لنقابل فيها عميلاً جديداً هو المستر مارشال فلاكستون الأمريكى ويظهر أنه متعجل جداً ولا أعرف ماذا يريد وقد يدعوك عمله إلى الاشتغال طول النهار » فقال سميث : « لا بأس »

ولكنه ذكر فى نفسه موعده مع زوجته فى الساعة السادسة ، ووصلت العربة إلى ريشموند فى نصف ساعة، ثم وقفت عند منزل، فاستقبلهما رجل يظهر أنه كان فى انتظارهما ، وهو صغير الجسم كبير العمر مجعد الجلد أسمر اللون . وقال ساعة رآهما : « بول وبنسبيت ؟ » . فأحنى المستر بنسبيت رأسه وقال : « أنا بنسبيت وهذا مساعدى »

فنظرة المستر مارشال إليهما نظرة احترام . وأدهش سميث أن تكون كل هذه النظرة موجهة إليه . ثم مشيا إلى الردهة فظهر أن المنزل خال من الأثاث

ونادى المستر مارشال فنزلت سيدة مسرعة وحيت الزائرين ثم تبادلت مع زوجها المستر مارشال نظرة ، وجلس الجميع فأخذت الزوجة تملى على سميث بيان الأثاثات المطلوبة من سجاجيد ومفروشات وكراسى وأدوات زينة الخ الخ

ولم يزالوا يتنقلون من غرفة إلى غرفة وسميث يكتب قوائم جديدة حتى أصبح ثمن الأشياء المطلوبة يستغرق ثروة رجل ميسور ... ولكن ذلك لم يكن كثيراً على المستر مارشال ملك النترات والبوتاس فلما صارت الساعة العاشرة قال مارشال : إنه متعجل جداً

قال بنسبيت : إنه سيعرض عليه النماذج وقائمة الأثمان فى ظرف أسبوع، فضرب مارشال الأرض بقدمه وقال : « ليس الأمر أمر نماذج ولا أثمان

ولكنى أريد أن يكون المنزل مفروشاً بكل ماطلبته فى الساعة الثالثة من هذا النهار»

وكان بنسبيت قد لاحظ على عميله الجديد علائم ظنها دالة على الجنون ، فبعد الحركة الأخيرة لم يبق عنده شك فى صدق هذا الظن

قال صاحب المتجر : « أظن هذا مستحيلاً »

فقال الأمريكى : « كم عدد موظفيك ؟ »

قال : « عندنا فى المصانع والمتاجر والإدارة والمخازن بضعة آلاف »

قال الأمريكى : « هذا حسن فادعهم جميعاً إلى العمل» فقال صاحب المتجر :« أخشى أن تكون تكاليف ذلك ... »

قال الأمريكى مقاطعاً : « إننى لم أسألك عن التكاليف ... أليس فى المدينة سيارات ؟ أليس فيها تليفونات ؟ أليس عندكم مخازن ؟ إننى أكرر لك القول بأني لا أبالى التكاليف وبأنى أريد أن يكون المنزل مفروشاً فى الساعة الثالثة »

دارت عينا بنسبيت كما تدور عينا كلب الصيد حين يرى الأرنب ؛ ولم يتبين بعد هل هو الأرنب أم لا . واستمر الأمريكى يقول : « استحضر أسطولاً من سيارات النقل وخمسين رجلاً لفرش كل غرفة »

قال سميث : « ولكن السجاجيد والستائر ... »

فقال الأمريكى مقاطعاً : « مالها ؟ إن المقاسات أمامك وقد فرش اللورد جاستوتش منزله بالأمس ، وغرفه فى مثل اتساع هذه الغرف »

قال سميث : « ولكن منزل اللورد . . . »

فساح الأمريكى محتداً : « اللورد فى جهنم . استدع خمسين عاملاً بالتلفون واستحضر أنواعاً مختلفة من الستائر لعمل التجاريب »

ووجد التاجر حماسة الرجل لا تقبل المناقشة ؛ فاستدعى العمال بالتلفون وترك المستر سميث لينوب عنه وعاد إلى متجره ليرسل البضائع .

* * *

لم يمض غير عشر دقائق حتى صارت حديقة المنزل المراد فرشه بالأثاث كأنها معسكر لكثرة من جاء إليها من العمال ولكثرة السيارات فى الحديقة وأمام الباب .

وكان سميث واقفاً أمام النافذة ينتظر مفروشات الغرفة التى هو فيها فلمح عربة فخمة تقف عند الباب وسمع الجرس يدق وعلى أثر ذلك دخلت الغرفة زوجة المستر فلكبستون تتبعها فتاة متناهية فى الحسن وقالت الفتاة لأمها : « من هذا ؟ »

فأجابتها : « هو تاجر الأثاث »

ثم خرجتا وسمع سميث صوت الفتاة تقول : « ألم يأت خبر عن الكونت ؟ »

قالت : « كلا »

وقالت الفتاة : « ما أشد الشبه بين الشاب الواقف فى الغرفة وبين أنطونيو ! »

وكان سميث قد ألزم نفسه ألا يهتم بشؤون الغير فلم يعر هذه المحاورة اهتماماً وانتقل إلى الغرفة المجاورة ليعد المعدات لفرشها . وفى هذا الحين رأى الذين جاءوا فى العربة الفخمة يدخلون من حديقة الدار وهم جماعة من الصينيين وقالت السيدة : « عفواً يا مستر

سميث ! لا تنزعج من أي شيء وستنال ترضية على كل شيء تفعله ، إن حادثاً لم يكن منتظراً قد وقع الآن وأريد منك أن تدعي بشخصية لست صاحبها لمدة خطة واحدة . ولك مكافأة كبيرة »

قال : « لا مانع يا سيدتي ولك الشكر »

ودخل الصينيون فاستقبلتهم السيدة وكان يصحبهم المستر فلكستون . وقدمت السيدة المستر سميث باسم السنيور أنطونيو بن الكونت أندوسى فأحنى رجل وجيه من بين الصينيين رأسه أمامه . واضطر سميث برأ بوعده لصاحبة المنزل إلى إحناء رأسه أيضاً . وتقدم المترجم لينقل إلى اللغتين الصينية والإنكليزية كلام الطرفين

قالت صاحبة المنزل : « إن سعادة الحاكم الصيني يريد منك يا سنيور أنطونيو تنازلاً كتابياً عن خطبتك لرودا ماليسترا وعن جميع الحقوق التي لك في مملكة جزيرة بارى »

وهنا غمز المستر فلكستون ذراع سميث فقال إنه مستعد لتوقيع هذا التنازل

وقال المستر فلكستون : « إن هذا الشرط هو الذي اتفقنا عليه لزواجك من بنتي وسيتزوج سعادة الحاكم الصيني من رود التي كانت مخطوبة لك »

ثم كتب ورقة هذا نصها :

« أنا أنطونيو برونو أندروسى أقرر أني نزلت عن خطبة الأميرة رودا ماليسترا وعن حقوق كلها في مملكة جزيرة بارى » . التوقيع

وقدم هذه الورقة إلى الحاكم الصيني فتناولها هذا ثم أحنى رأسه وخرج مسرعاً

وعلى أثر خروجه دخل مئات من العمال يحملون الأبسطة والستائر والنمارق والكراسي . وبعد قليل دخل المستر بنسبيت وأخذت المطارق تدق والمفروشات ترتب وسميث واقف يراقب ذلك ويشترك في كل عمل يستطيع الاشتراك فيه

وفي وسط هذه الحركة القوية أعلن المستر فلكستون أن الساعة هي الثانية عشرة ، وأنه لم يبق غير ثلاث ساعات . وأخذ سميث يصيح بالعمال أن يسرعوا . فلما انتهى فرش الغرفة الأولى جاء فلكستون بستين جنيهاً وأمر بتوزيعها على العمال مكافأة لهم على الإسراع ، واستنهاضاً لهمتهم حتى يتم العمل في الموعد المطلوب .

وفي الساعة الثانية وخمس دقائق كان سميث واقفاً وحده ليستريح قليلاً في غرفة لم تفرش بعد . وكان يرتب بنظره كيفية فرشها . فرأى على حين فجأة أربعة من الصينيين ، وأشار له أحدهم فتبعه إلى أعلى السلم وهناك شعر بمادة ذات رائحة غريبة قد ألقيت على وجهه . ثم امتنع شعوره بعد ذلك .

ولما أفاق سميث بعد ذلك وجد نفسه نائماً مكتوف اليدين في سفينة ، ورأى البحارة حوله جميعاً من الصينيين . فخال نفسه في إحدى جزر الأرخبيل الياباني ، أو في جزر الهند الشرقية .

ولكن وجه الغرابة هو أن البحارة كانوا يتكلمون باللغة الإنكليزية .

وقال لأحدهم : « أين نحن الآن ؟ » . فأجابه : « ستعلم متى جاء سعادة الحاكم » .

قال سميث : « ولماذا أنا مقيد اليدين ؟ » .

فأجابه البحار : لا أستطيع إخبارك بشيء حتى يأتي الحاكم . ولكن لماذا تتكلم بالانكليزية ؟ ألست إيطاليا ؟

قال سميث : أنا فردريك سميث، وصناعتي كاتب في شركة بنسبيث . فتدخل بحار آخر وقال : ألست السنيور أنطونيو ؟

حاول سميث أن يتذكر كيف وأين سمع هذا الاسم ولكن ذاكرته خانته وقال : إنه جائع فجاء له البحار بقليل من الطعام ثم غلبه النعاس بعد ذلك فنام

وعند ما أفاق من النوم سمع البحارة يتكلمون وكان واحد منهم يقول : إن سعادة الحاكم لم يطمئن إلى التنازل الذي كتبه السنيور أنطونيو وليس يكفي أن يطالب بحقوقه في الملك ولا أن يأمن في حب خطيبة أنطونيو ما دام هذا الأخير موجوداً . ولذلك اختطفه بعض أعوانه وجاءوا به إلى هنا لإرساله إلى جزر الملايو . ولكن الغريب أن الرجل كما ظهر لنا الآن ليس إيطاليا مع أنه اعتقل في نفس المنزل الذي وقعت فيه الوثيقة بتوقيع أنطونيو . وكان أحد الذين اختطفوه ممن حضروا توقيعه على وثيقة التنازل فلا يبعد إذن أن يكون الأمريكي قد خدع الحاكم وجاء برجل مزيف ليمثل دور السنيور انطونيو

وهنا تهامس البحارة بلزوم الصمت لأن سعادة الحاكم مقبل

وعند مجيئه سمع سميث صوت رئيس البحارة وهو يكلمه بصوت منخفض فلم يتبين ما قاله . ثم سمع الحاكم يقول بصوت كهزيم الرعد : « لا تتركوه يتكلم ! إقطعوا رقبته وألقوه في الماء » اضطرب سميث لعلمه أن هذا الكلام عنه وانتظر ما يخبئه له القدر على يد هذا الحاكم الصيني ، وبعد دقائق دخل الحاكم ونظر إليه نظرة وعيد وقال : « إنني أمرت بإعادتك إلى منزلك ولكن إذا فهت بأية كلمة عن أي شيء مما رأيته اليوم فإني سأهشم رأسك وسآتي لتأديبك ولو كنت في أقصى مكان من الأرض »

وكان صوت هذا الجبار مثل نظراته شديد الدلالة على الوعيد

قال سميث : « لن تجد مني غير الصمت وألف شكر لك »

وبعد قليل كان سميث مغمض العينين في عربة تجري في شوارع لوندرا وهو لا يعرف هل مضى عليه بعد مفارقته هذه المدينة أيام أو ساعات أو أعوام »

ولم يرفع المنديل عن عينيه إلا عندما وقفت به العربة أمام باب منزله . وكان تشييع الصيني له نظرة تهديد قال جواباً عليها إنه ذاكر وعده وإنه سيلزم الصمت

ودخل سميث إلى منزله فنظر إلى نتيجة معلقة على الحائط فوجد أنه لا يزال في اليوم الذي باشر فيه المهمة في بيت فلكستون ، ونظر إلى ساعته فوجد نفسه في الساعة الخامسة فأسرع إلى مقر عمله وهناك رأى كل شيء على نفس النمط الذي كان عليه عند ما ترك هذا المتجر . وتلقاه المستر بنسبيت فقال : « كيف حالك الآن يا مستر سميث ؟ »

قال : « بخير »

وقال بنسبيت : « لقد علمت أنه أغمي عليك في أثناء العمل بمنزل فلكستون فنقلوك إلى منزلك في عربة » فقال سميث : « نعم لقد كان الأمر كذلك »

ولكنه عجب من رواية ما أصابه على هذه الصورة المقتضبة . وتذكر وعده بلزوم الصمت فسكت ...

وقبيل الساعة السادسة أسرع إلى المكان الذى اتفق مع زوجته على مقابلتها فيه ليذهبا إلى السينما ؛ فوجدها فى انتظاره وقال : « أظننى جئت متأخراً »

قالت : « كلا بل جئت فى الموعد . هل كان عندك اليوم شغل كثير ؟ » فأجابها : نعم نحن لا نستريح طول النهار بل هى حركة مستمرة »

قالت : ماذا رأيته اليوم ؟ فقال : إننى لا أحب التدخل فى شئون العملاء وإذا استثنينا الأطباء فلا أحد يطلع على أسرار البيوت كما يطلع عليها تجار المفروشات ؛ ولكننى أنظر ولا أسأل ، وأى شأن لى بأسرار العملاء ؟ لقد تنازلت اليوم فى أثناء عملى عن حقوقى فى مملكة بارى ، وعن خطبتى للأميرة رودا الصينية وخطبت بنت مليونير أمريكى واختطفنى رجال العصابة الصينية وكاد رأسى يقطع بالسكين ؛ وسافرت بى السفينة إلى جزر اللايو ، وهأنذا أعود فى الساعة السادسة بعد أدائى كل هذه الأعمال »

فضحكت زوجته لاعتقادها أنه يمزح وقالت : « هل كنت اليوم تمثل فى رواية من روايات شارلى شابلن ؟ »

فقال : « سامحينى إذا لم أجبك فإنى مأمور بالصمت »

وكم يرى المرء فى حالتى النوم والإغماء ، وكم فى شئون الحياة مما يظنه المرء حقيقة رآها وهو وهم يخيل له . أليست الأعمال كلها وليدة الآمال ؟ !

عبد اللطيف النشار

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

ابى العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً